**أثر الفلسفة الإسلامية في تفسير القرآن الكريم**

**أ.م.د رياض عبد الرحيم ـ جامعة البصرة كلية التربية / القرنة**

**ناهد أحمد الشماسي - ايران – جامعة المصطفى العالمية**

**الخلاصة**

كان ظهور الإسلام بكتابه الحكيم هو ظهور الحقيقة العظمى ، فقد جاء القرآن بما يتعلق بالألوهية بالمفهوم الكامل الواضح للإله ، و بيّن الإيمان على نظر العقل و ثمرة المعرفة ، وأمر بالنظر العقلي البصير.

و الفلسفة الإسلامية هو علم يقّدم تصور الإسلام و رؤيته حول الكون و الخلق و الحياة و الخالق ، و أهمية البحث تكمن في أهمية موضوعه وهو القرآن الكريم ، و أهمية تفسيره و تدّبر آياته ، و تعد الفلسفة الإسلامية من أهم المصادر العقلية التي تعين على فهم القرآن الكريم.

و الفلسفة الإسلامية نبعت من صميم البيئة الإسلامية ، و أسهم المسلمون فيها ، و نما هذا العلم في بيئة المتكلمين و الفلاسفة و المتصوفة ، و امتازت الفلسفة بموضوعاتها و مسائلها حول الواحد و المتعدد ، و عالجت الصلة بين الله و مخلوقاته ، وكذلك و فقت بين الروح و العقل .

و التفسير الفلسفي للقرآن الكريم يعني استعمال المباني و القواعد الفلسفية في فهم النص القرآني.

و لقد ساعد هذا النوع من التفسير على فهم الآيات المتشابهة . و من النماذج للتفسير الفلسفي للقرآن الكريم : تفسير الفارابي للأول و الآخر ، و الظاهر و الباطن ، و تفسير ابن سينا للعرش بأنه الفلك التاسع ، و الملائكة الثمانية الذين يحملون العرش هم الأفلاك الثمانية .

أما السيد الطباطبائي فقد رفض تفسير الكلام الإلهي بالموجودات الخارجية كما ذهب إليه بعض الفلاسفة ، و أخذه بالمعنى الحقيقي للكلام .

ولذلك على المفسّر أن يراعي الضوابط العامة للتفسير ، و من أهمها عدم تحميل النظريات الفلسفية على القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية : الفلسفة الإسلامية ، أثرها ، تفسير القرآن الكريم.

**مقدمة**

كان ظهور الإسلام بكتابه الحكيم هو ظهور الحقيقة العظمى، كما كان مدخل التحول في الدين المنزّل ، و التفكير الديني أو العلمي و الفلسفي معًا .

فقد جاء القرآن بما يتعلق بالألوهية بالمفهوم الكامل الواضح للإله ، و جاء يبيّن الإيمان على نظر العقل و ثمرة المعرفة ، كما جاء ليعظم أمر العلم و الحكمة ، فأمر بالنظر العقلي البصير ، في آيات الكون الظاهرة داعيًا للتأمل في أسرارها الخفية ، عن طريق الحس و الوجدان و العقل معًا، فالقرآن الكريم حين يتكلم عن الله سبحانه و تعالى في ذاته و صفاته و أفعاله و تدبيره لهذا العالم ، فإنه يبيّن لنا المنهج إلى معرفة ذلك ، هو النظر العقلي المتكامل الصحيح في هذا العالم بكل إبداعاته الكونية و الطبيعية 1.[[1]](#footnote-1)

والفلسفة الإسلامية مصطلح عام يمكن تعريفه و استخدامه بطرق مختلفة ، فيمكن للمصطلح أن يُستخدم على أنه الفلسفة المستمدة من نصوص الإسلام ، بحيث يقدّم تصور الإسلام و رؤيته حول الكون و الخلق و الحياة و الخالق ، و يمكن أن يُستخدم ليشمل جميع الأعمال و التصورات الفلسفية التي تمت و بُحثت في إطار الثقافة الإسلامية ، من دون أن يكون مرتبطًا بحقائق دينية و نصوص شرعية 2.

و في هذا البحث نتعرض لأثر التفسير الفلسفي للقرآن الكريم في مبحثين رئيسين هما:

* الفلسفة الإسلامية .
* أثر التفسير الفلسفي في تفسير القرآن الكريم .

**الأهداف:** 1ـ التعرف على الفلسفة الإسلامية .

2ـ التعرف على أثر الفلسفة الإسلامية في تفسير القرآن الكريم.

**أهمية البحث**: أهمية البحث يعود إلى أهمية موضوعه و هو القرآن الكريم ، و إلى أهم علم من علوم القرآن الكريم ، ألا وهو تفسيره ، و التدبر بآياته ، و الاستفادة منه .

فكلما تقّدم بنا الزمان و تطورت العلوم كلما ازددنا فهم للقرآن الكريم ، و تعد الفلسفة الإسلامية من أهم المصادر العقلية التي تعين المفسر في تفسيره ، و التي ساهمت و لا زالت تساهم في فهم القرآن الكريم ، و الوصول إلى عمق و بطن من أعماق و بطون هذا القرآن العظيم.

**دراسات سابقة:**

تناول عدد من الكتّاب التفسير الفلسفي للقرآن الكريم على صورة نقد لهذا المنهج ، مثل :

1ـ التفسير و المفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي .

2ـ أصول التفسير و قواعده للشيخ خالد العك .

و لكن أيضًا نجد دراسات مكثفة حول هذا العلم ، منها:

1ـ سلسة التفسير الفلسفي للقرآن الكريم / لأبي يعرب المرزوقي في موقع مركز تفسير للدراسة.

2ـ مفسري القرآن و أسلوبهم / ساجد شريف عطية ، موسوعة اتقان القرآن و علوم الرحمن .

3ـ المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم ( صدر الدين الشيرازي أنموذجًا) لزمن حسن صالح ، رسالة ماجستير.

أما هذا البحث فيتناول تعريف الفلسفة الإسلامية كمصدر علمي من مصادر التفسير، و نظرياته القطعية كمبادئ و أصول يعتمدها المفسّر في تفسيره.

**نوع البحث**: نقلي ، وصفي.

**السؤال الأصلي**: ماهي الفلسفة الإسلامية ؟ و ما هو أثرها في تفسير القرآن الكريم؟

**الأسئلة الفرعية**: 1ـ ما هي الفلسفة الإسلامية؟

2ـ ما هو أثر الفلسفة الإسلامية في تفسير القرآن الكريم؟

**الفصل الأول: الفلسفة الإسلامية :**

**1ـ تعريف كلمة (الفلسفة) لغة و اصطلاحًا:**

**أ ـ تعريف كلمة الفلسفة لغة** :

أصل كلمة (فلسفة) هو اسم يوناني ، و معناه الحكمة.[[2]](#footnote-2)

**ب ـ تعريف كلمة الفلسفة اصطلاحًا** :

**الفلسفة هي عبارة عن علم يساعد على معرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه ، و الحكم عليها بالبراهين الساطعة ، يقول صدر المتألهين** : «الفلسفة هي استكمال النفس بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليها و الحكم بوجودها تحقيقًا للبراهين لا أخذًا بالظن و التقليد بقدر الوسع الإنساني»[[3]](#footnote-3)[[4]](#footnote-4).

و تنقسم الفلسفة إلى فلسفة عامة و فلسفة إلهية ، فالعامة كالبحث عن العلة و المعلول ، و الإلهية مثل البحث عن وجود الله و صفاته.

**2ـ الفرق بين الفلسفة و علم الكلام:**

تفترق الفلسفة عن علم الكلام ، أن الكلام وضعه المسلمون للدفاع عن الدين ، بينما الفلسفة ليس فيها طابع ديني ، و لا تسلك مسلكًا مُعينًا أو تتبع دينًا بخصوصه ، بل تبحث عن الحقائق كما هي عليه ، و هذا التجرد قد يحّمل الفيلسوف على تبني رأي مخالف للشريعة الإسلامية ، أو لظاهر الشريعة الإسلامية ، مما يوجب الخروج عن الدين في واقع الأمر أو في نظر المسلمين ، و الفيلسوف لا يبالي أن ينقض البرهان الذي أقامه دينًا أو مذهبًا 5[[5]](#footnote-5).

فعلم الكلام علم مستقل لا علاقة له بالفلسفة ، فالفلسفة هي البحث عن الوجود و أقسامه ، و البحث عن الأشياء الموجودة بما هي ، أما علم الكلام فلا يشبه الفلسفة ، لأنه إنما نشأ لرد مادية الفلسفة المهاجمة ، خوفًا من أن يؤثر على العقيدة الإسلامية أو ما يرونه عقيدة إسلامية [[6]](#footnote-6).

**3ـ موقف المسلمين من الفلسفة:**

لما كانت طبيعة الفلسفة النظر إلى حقائق الأشياء غير مقيدة برأي أو عقيدة ، و اصطدمت هذه الفلسفة ببعض مواقف الدين الإسلامي ، تصدى المسلمون للدفاع عن عقائدهم بأسلوب البراهين الفلسفية ، و حاولوا التنسيق بين الآراء الرائجة في الفلسفة و بين نظريات الإسلام ، فنشأ من ذلك علم الكلام ، فعِلم الكلام إنما نشأ للدفاع عن العقيدة الإسلامية عندما هاجمتها الفلسفة اليونانية ، و استخدموا الأساليب البرهانية التي تستخدمها الفلسفة لخدمة الدين. [[7]](#footnote-7)

**4ـ أصالة الفلسفة الإسلامية :**

يرى بعض الإسلاميين أن الفلسفة الإسلامية قد نبعت من صميم البيئة الإسلامية ، ذلك أنه نشأ من طول معاناة علوم القرآن و الحديث علم إسلامي أصيل هو (علم الأصول ) ، و الذي ظهرت في رحابه المذاهب الكلامية ، و جاءت الفلسفة اليونانية لكي تجد أرضًا خصبة و عقلية فلسفية اكتملت لديها جميع أسباب النظر الفلسفي ، من خلال النظر في مسائل الفقه و أقضيته و قياساته ، و لم يكن تيار الفلسفة اليونانية سوى رافد اندفع ليلتقي مع المجرى الكبير بدافعه من حتمية التأثير الثقافي المتبادل كنتيجة للتجاور المكاني و التماس حضاري في هذه المنطقة القديمة .

و أقبل المسلمون على التراث اليوناني مستعرضين قضاياه بأسلوب منهج المقارنة لا بأسلوب التعلم ، فرفضوا ما يتعارض منه مع الدين وموقفهم الفلسفي منه ، و قبلوا ما لا يناقض العقيدة من مذاهب و آراء[[8]](#footnote-8)2.

**5ـ نشأة الفلسفة الإسلامية:**

ليس ثمة شك أن هناك فكرًا فلسفيًا نشأ و نبت في الإسلام ، له رجاله و مدارسه ، و له مشاكله و نظرياته ، و له خصائصه و مميزاته ، و هو ما نسميه بـ ( الفلسفة الإسلامية) ، أنه نشأ و شبّ في كنف الإسلام ، و تأثر بتعاليمه، و أسهم فيه المسلمون في المشرق و المغرب ، و لا ضير أن يكون قد أسهم فيه غير المسلمين أيضًا ممن شملهم الإسلام برعايته .

و هناك ثلاث بيئات عُنيت بالفلسفة و الفكر الفلسفي ، و هي :

**أـ البيئة الكلامية** : و هي من أغنى البيئات و أغزرها مادة ، و أشدها اتصالًا بالأحداث السياسية و الاجتماعية في العالم الإسلامي.

**ب ـ بيئة الفلاسفة** : وهم المشائين العرب ، و التي توسعت في التوفيق بين الفلسفة و الدين .

**جـ ـ بيئة المتصوفة** : حيث عاشت الفلسفة في كنف المتصوفة حين أعرضت الجماهير عنها ، كما عاشت الفلسفة في كنف علم الكلام 3[[9]](#footnote-9).

و لقد مهد للفلسفة الإسلامية بيئتان متعاصرتان وضعتا دعائم الدراسات العقلية في الإسلام ، أولهما بيئة المترجمين الذين غذّوا العالم الإسلامي بثمار الفكر القديم شرقيًا كان أو غربيًا ، و ثانيهما بيئة الفرق الكلامية ، و بخاصة جماعة المعتزلة ، حيث بدأت الفرق الكلامية منذ أخريات القرن الأول للهجرة تثير بعض المشاكل الفلسفية كمشكلة الجبر و الاختيار ، و تفرعت منها في القرن الثاني مشاكل أخرى ، و خاصة على أيدي المعتزلة الذين فلسفوا العقيدة الإسلامية ، و عرضوا بسببها لمشكلة العالم و الإنسان ، ففرقوا بين الوجود و العدم ، و بين الجوهر و العرض ، و بين الذات و الصفة ، و بين الجسم و النفس ، و بين الخير و الشر ، و بحثوا في السبب و العلة ، و قالوا بالمعاني و الأحوال ، لكي يفسروا صفات الباري تفسيرًا عقليًا ، و توسعوا في شرح العدالة الإلهية ، و كذلك تعرضوا إلى مسائل الالوهية ، و أهمها البرهنة على وجود الله ، فعولوا على الدليل الكوني الذي يحاول أن يثبت وجود الله عن طريق وجود الكون ، و الدليل الغائي الذي يستخلص من نظام الكون و إبداعه ، أن له هدفًا و غاية لا تصدر إلا عن مدبر حكيم ، و يعتمد هذان الدليلان على مبدأ العلية سواء أكانت علة فاعلية أم علة غائية1.[[10]](#footnote-10)

**6ـ أهمية الفلسفة الإسلامية:**

امتازت الفلسفة الإسلامية بموضوعاتها و بحوثها و مسائلها و معضلاتها ، و بما قدمت لهذه و تلك من حلول ، فهي تعني بمشكلة الواحد و المتعدد ، و تعالج الصلة بين الله و مخلوقاته ، التي كانت مثار جدل بين المتكلمين ، و تحاول أن توفق بين الوحي و العقل ، و بين العقيدة و الحكمة ، و بين الدين و الفلسفة ، و أن تبّين للناس أن الوحي لا يناقض العقل ، و أن العقيدة إذا استنارت بضوء الحكمة تمكنت من النفس و ثبتت أمام الخصوم ، و أن الدين إذا تآخى مع الفلسفة أصبح فلسفيًا كما تصبح الفلسفة دينية ، و على أنها مع هذا الطابع الديني لم تهمل المشكلات الفلسفية الكبرى ، فعرضت لنظرية الوجود عرضًا واسعًا ، و أدلت برأيها في الزمان و المكان و المادة و الحياة ، و بحثت نظرية المعرفة بحثًا مستفيضًا ، ففرقت بين النفس و العقل ، و الفطري و المكتسب ، و الصواب و الخطأ ، و الظني و اليقين ، و غيرها[[11]](#footnote-11).

**7ـ موقف القرآن الكريم من الفلسفة:**

إن أسلوب القرآن الكريم أسلوب عاطفي ، لا يتسم في الغالب بطبع جدلي عقلي ، و القرآن نفسه لا يعتبر نصوصه فلسفة في الكون ، بل دعا إلى النظر و التأمل في مظاهر الطبيعة المختلفة من حيث أنها تشير إلى عظمة الخالق و قدرته التي لا حد لها ، و سلك في هذا السبيل مسلكًا يثير العقل و يحفز انتباهه إلى الترقي في مدارج المعرفة الكونية ، كما في قوله تعالى: ( أولم ينظروا في ملكوت السماوات و الأرض) الأعراف: 185، و في قوله تعالى : ( فلينظر الإنسان مما خُلق)الطارق: 7.

كما أن إجابات القرآن على الأسئلة الموجهة للاستفسار عن حقائق الأشياء هي إجابات ليس لها طابع أو توجه فلسفي ، بل إنها تترك المشاكل بدون حلول مباشرة ، مثل قوله تعالى : ( و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) الإسراء:85 ، و قد تشير هذه الآيات إلى الناحية العملية ، كما في قوله تعالى : ( و يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس و الحج)البقرة: 189، وقد تحاشى القرآن أن يُمعن في طريق الجدل الفلسفي ، و السبب في ذلك أنه كتاب ديني موجه للناس عامة لا للمثقفين منهم وحدهم ، و لذلك كان يجتنب الخوض في حقائق الأشياء3[[12]](#footnote-12).

**الفصل الثاني : أثر الفلسفة الإسلامية في تفسير القرآن الكريم :**

**1ـ تعريف كلمة : (أثر) ، (التفسير)، ( التفسير الفلسفي):**

**أـ تعريف كلمة (أثر) لغة و اصطلاحًا:**

**لغة** : الأثر لغة يطلق على بقية الشيء ، يقول الخليل الفراهيد : « الأثر بقية ما ترى من كل شيء و ما لا يرى بعد ما يبقى علقه».[[13]](#footnote-13)

**واصطلاحًا**: الأثر هو اللازم المتعلق بالشيء3[[14]](#footnote-14).

وهذا التعريف يتحد مع المعنى اللغوي بشيء ، و يفارقه بآخر ، لأن اللازم خارج عن ماهية الشيء و ذاته فهو يوافقه فيما لم يكن جزء ، و يخالفه فيما كان جزء[[15]](#footnote-15).

**ب ـ تعريف كلمة ( التفسير) لغة و اصطلاحًا:**

**لغة** : التفسير من مادة فسر ، و تعني البيان[[16]](#footnote-16)، وكشف المراد عن اللفظ المشكل [[17]](#footnote-17).

**اصطلاحًا:** وردت عدة تعاريف لكلمة التفسير من العلماء ، و أهمها بالنسبة لهذا البحث :

**هو أن التفسير** : عبارة عن بيان المفاد الاستعمالي لآيات القرآن ، و إظهار المراد الجدي لله تعالى منها ، طبق قواعد اللغة العربية ، و أصول المحاور العقلائية[[18]](#footnote-18).

فهذا التعريف يبّين العملية التفسيرية ، و الأدوات التي يستعين بها المفسر في تفسيره ، وهو تعريف جامع شامل لتعريف التفسير اصطلاحًا.

**جـ ـ التفسير الفلسفي للقرآن الكريم :**

إن المنهج الفلسفي في التفسير : هو استعمال المباني و القواعد الفلسفية في فهم النص القرآني [[19]](#footnote-19).

وتقع طريقة التفسير الفلسفي لبيان ما تقوم عليه الظاهرة القرآنية من مفاهيم فلسفية كالبحث عن الوجود و الماهية و ما يترتب عليهما من الأثر في جانب الوجود من الأصالة أو التبعية للماهية ، و كذا ما يترتب على الماهية من الأصالة أو تبعيتها للوجود.

و أهم الآيات القرآنية المطروحة في هذا المسلك فهي عبارة عن : إثبات وجود الله ، و صفاته ، و التوحيد و مراتبه ، و مسألة النفس و العقل ، و مبدأ العلية ، و ما شاكل ذلك[[20]](#footnote-20).

**2ـ الآيات المتشابهة و التفسير الفلسفي:**

الآيات المتشابهة هي آيات قرآنية مشكلة ، مبهمة المعنى ، يعارض بعضها الآخر، و هي التي أدت إلى ظهور أسلوب التأويل و الذي استخدمته الفرق الإسلامية للتدليل على صحة مواقفها.

فنجد في القرآن الكريم آيات تشعرنا بالتجسيم أو التشبيه ، و أخرى تشدنا إلى التنزيه ، فمن الآيات ما يشير إلى أن لله عرشًا ، و أن لله تعالى وجهًا ، و منها ما ينزه الله عن صفات المخلوق ، كما في قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء﴾الشورى:42.

و قد اختلف المسلمون في تفسير هذه الآيات ، و لم يتضح لهم هدف الشارع منها ، و يقول تعالى في محكم كتابه : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُن أم الكتاب و أخرى متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم ﴾آل عمران:7.

و أيضًا فقد أُثيرت مسألة الجبر و الاختيار استنادًا إلى آيات متشابهات ، مثل الآية ﴿و ما رميت إذ رميت و لكن الله رمى﴾الانفال:17 ، بينما الآية ﴿ وهديناه النجدين﴾البلد:10 ، هي صريحة في الاختيار أي في القول بحرية الإرادة. [[21]](#footnote-21)

و يمكن القول أن هناك ما ورد من آيات في القرآن أشكل على الناس فهمها ، و سميت هذه الآيات متشابهات ،وهي غير واضحة المعنى ، و بعضها يشعر بالتناقض[[22]](#footnote-22).

فكان التفسير الفلسفي عامل مساعد على فهم هذه الآيات المتشابهة ، و خاصة عند البحث في الآيات التي تتناول ذات الله و صفاته كالنورية و السمع و البصر، ورؤيته سواء بالقلب أو بالبصيرة ، وغيرها.

**3ـ مواقف و آراء حول التفسير الفلسفي للقرآن الكريم:**

يرى الذهبي أن علماء المسلمين لم يكونوا جميعًا على مبدأ واحد بالنسبة للآراء الفلسفية ، بل وجد منهم من وقف منها موقف الرفض ، و عدم القبول ، كما وجد منهم من وقف موقف الدفاع عنها و القبول لها ، و كان من هؤلاء و من هؤلاء أثر ظاهر في تفسير القرآن الكريم.

فبعض المفسرين استفاد من النظريات الصحيحة و المسّلمة لديه ، و مزجها بالتفسير، ورفض النظريات التي يراها تتعارض مع الدين .و لكن هناك بعض المفسرين من شرح الآيات القرآنية بناءً على النظريات و الآراء الفلسفية ، فأسقط تلك النظريات و الآراء على النصوص القرآنية[[23]](#footnote-23).

أما المعتزلة فقد توسعوا في تفسير القرآن تفسيرًا عقليًا ، تبع لمنهج الفلاسفة القائم على تفسير الغيبيات تفسيرًا عقليًا ، حتى تناولوا صفات الله تعالى ، و الأخص( العدل) ، فأرجعوا على الله سبحانه في مسألة العدل ما يجب على الإنسان فيه ، و كذلك و صفوا الكلام لله تعالى لموسى (ع) في قوله تعالى : ﴿ و كلّم الله موسى تكليمًا﴾ النساء: 164، بمعنى جرح الله موسى بأظفار المحن و مخالب الفتن ، كل ذلك ليفر من ظاهر القرآن الذي يصطدم مع عقيدته و مذهبه [[24]](#footnote-24).

و لذلك نجد للعلماء في مسألة مشروعية الفلسفة في التفسير ثلاث آراء:

**الرأي الأول**: وجوب الاقتصار على التفسير بالمأثور عن الرسول (ص) و أهل بيته (ع) .

**والجواب**: إن الكثير من روايات التفسير ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها ، فضلًا عن الآيات التي لم ترد فيها تفسير منهم صلوات الله عليهم ، و هذا يؤدي إلى تعطيل العمل بآيات كثيرة.

**الرأي الثاني**: هناك من لم يعارض هذا المنهج ، بل عارض خصوص استعمال المصطلحات الفلسفية .

**و الجواب**: الفلسفة علم عقلي ومصطلحاته كمصطلحات أي علم عقلي أو علم تجريبي ، فلا ضير من الاستفادة منها بالتفسير.

**الرأي الثالث**: جواز استعمال المنهج الفلسفي لأنه من المنهج العقلي ، فكما يمكن استعمال القواعد العقلية في فهم النصوص القرآنية ، فالقواعد الفلسفية هي أحدى مصاديقها .

**و الجواب:** أن التفسير الفلسفي لا إشكال فيه إذا ما روعي فيه شرط وهو استخدام المبنى الفلسفي المبرهن عليه في فهم النص القرآني ، و الابتعاد عن تحميل الآراء الفلسفية على القرآن.[[25]](#footnote-25)

4**ـ نماذج للتفسير الفلسفي لبعض الآيات القرآنية:**

تناول بعض الفلاسفة الكبار بعض الآيات القرآنية و فسروها بطريقة فلسفية ، نعرض بعضها :

**أـ الفارابي (ت: 339هـ):**

يمكن اعتبار تفسير الفارابي ، من النماذج البارزة لهذا النوع من التفسير ، فقد فسّر الفارابي بعض آيات القرآن الكريم تفسيرًا فلسفيًا ، منها ما يلي :

**أ ـ في قوله تعالى: ﴿ هو الأول و الآخر﴾الحديد:3** : فسّر( الأول ) بأنه الأول من جهة أنه منه و يصدر عنه كل وجود غيره ، وهو أول من جهة أنه بالوجود لغاية قربه منه ، وأول من جهة أن كل زماني يُنسب إليه يكون فقد وجد زمان لم يوجد معه ذلك الشيء ، ووجد إذ وجد معه لا فيه .

وفسّر ( الآخر) بأنه هو الآخر ، لأن الأشياء إذا لوحظت و نسبت إليه أسبابها و مبادئها وقف عنده المنسوب ، فهو آخر لأنه الغاية الحقيقية في كل طلب[[26]](#footnote-26).

**ب ـ وفي قوله تعالى ﴿ هو الظاهر و الباطن﴾الحديد:3**: فسّر (الظاهر) بأنه لا وجود أكمل من وجوده ، فلا خفاء به من نقطة الوجود فهو في ذاته ظاهر و لشدة ظهوره باطن ،و به يظهر كل ظاهر كالشمس يظهر كل خفي و يستبطن لا عن خفاء.

و فسّر(الباطن) : باطن لأنه شديد الظهور ، غلب ظهوره على الإدراك الخفي ، وهو ظاهر من حيث الآثار تنسب إلى صفاته ، وتجب عن ذاته.[[27]](#footnote-27)

**ب ـ ابن سينا (ت: 428هـ):**

ابن سينا كمسلم يدين بالقرآن ، و فيلسوف محب للفلسفة ، كان حريص كل الحرص على أن يوفق بين الدين و الفلسفة ، و كان طبيعيًا أن يوفق بين نصوص القرآن و النظريات الفلسفية ، فكان يشرح القرآن شرحًا فلسفيًا ، و كانت طريقته التي يسلكها في شرحه غالبًا هي شرح الحقائق الدينية بالآراء الفلسفية [[28]](#footnote-28).

ومن الآيات القرآنية و التي فسّرها تفسيرًا فلسفيًا :

**أ ـ في قوله تعالى : ﴿ و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾الحاقة:17 :** فسّر العرش بأنه الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك ، و فسّر الملائكة الثمانية التي تحمل العرش بأنها الأفلاك الثمانية التي تحت الفلك التاسع .

يقول ابن سينا:

«أن العرش نهاية الموجودات المبدعة الجسمانية ، و تدعي المشبهة من المتشرعين أن الله تعالى على العرش لا على سبيل الحلول ، أما في الكلام الفلسفي فإنهم جعلوا نهاية الموجودات الجسمانية الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك ، و يذكرون أن الله تعالى هناك ، و عليه لا على حلول ، كما بيّن أرسطو في آخر كتاب سماع الكيان ، و الحكماء و المتشرعون اجتمعوا على أن معنى العرش هو هذا الجرم ، و قد قالوا : إن الفلك يتحرك بالنفس ، لأن الحركات إما ذاتية ، و إما غير ذاتية ، و الذاتية إما طبيعية ، و إما نفسية ، ثم بينّوا أن نفسها هو الناطق الكامل الفعال ، ثم بينّوا أن الأفلاك لا تُفنى و لا تتغير أبد الدهر ، و قد ذاع في الشرعيات أن الملائكة أحياء قطعًا ، لا يموتون كالإنسان الذي يموت ، فإذا قيل : إن الأفلاك أحياء ناطقة لا تموت ، و الحي الناطق غير الميت يسمى ملكًا ، فالأفلاك تسمى ملائكة ، فإذا تقدم هذه المقدمات وضح أن العرش محمول على ثمانية ، ووضح تفسير المفسرين أنها ثمانية أفلاك»[[29]](#footnote-29).

**جـ ـ صدر المتألهين (ت: 1050هـ):**

أستعمل صدر المتألهين الفلسفة في فهم النصوص القرآنية ، و اعتمد في فلسفته على النقل و البرهان و الكشف ، و لكنه اعتمد على المنهج المتكامل في تفسيره ، فيستخدم تفسير القرآن بالقرآن ، و بالمأثور ، و اللغة ، و المنهج الفلسفي ، أي ما يسمى بالتفسير الاجتهادي الجامع[[30]](#footnote-30).

و من الآيات القرآنية التي تناولها صدر المتألهين في تفسيره :

**أ ـ في قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم و تركهم في ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾البقرة : 17 ، 18.**

يرى صدر المتألهين تحقيق هذه الآية تستدعي مقدمات ، إحداها : هي أن العوالم متطابقة و النشئات متحاذية ، نسبة الأعلى إلى الأدنى كنسبة الصافي إلى الكدر ، و نسبة اللب إلى القشرة ، و نسبة الأدنى إلى الأعلى كنسبة الفرع إلى الأصل ....، فكل ما في الدنيا فلابد له في الآخرة من أصل ، و إلا لكان كسراب باطل و خيال عاطل ، و كل ما في الآخرة فلا بد له في الدنيا من مثال ، و إلا لكان كمقدمة بلا نتيجة و شجرة بلا ثمرة و علة بلا معلول ، لأن الدنيا عالم الملك و الشهادة ، و الآخرة من عالم الغيب و الملكوت ، و لكل إنسان دنيًا و آخرة . و إن الإنسان أول ما يحدث يكون في عالم الحس و الشهادة ، ثم يتدرج قليلًا في قوة الوجود ، حتى ينتقل من هذا العالم إلى عالم الغيب ، فيكون الدنيا أولاه و الآخرة أخراه ، كما إن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في رتبة الوجود و ثانية لها ، و هي أن كانت ثانية في رتبة الوجود ، فإنها أول في حق رؤيتك ، وهذا النوع من الانعكاس ، ضرورة هذا العالم ، وكذلك عالم الشهادة محال لعالم الغيب و الملكوت.[[31]](#footnote-31)

**ب ـ و في قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم﴾البقرة:29.**

يقول صدر المتألهين في تفسير هذه الآية:

«هذه الآية من أعظم الدلائل على شرف الإنسان ، و من أقوى الوسائل إلى معرفة الرحمن ، أما دلالتها على شرفه بوجهين:

أحداهما : وهو إنها بيان نعمة أخرى بعد النعمة الأولى مرتبة عليها ، فإن الأولى كانت خلقتهم أحياء قادرين مرة بعد أخرى ، و هذه خلْق ما يتوقف عليه بقاؤهم النوعي بعد الشخصي و يتم به معاشهم المبتني عليه معادهم.

و ما أحسن رعاية هذا الترتيب منه تعالى ، فإن الانتفاع بالأرض و السماء و ما في كل منهما إنما يكون بعد حصول الحياة ، فلهذا ذكر الله أمر الحياة أولًا ، ثم أردفه بذكر الأرض و السماء»[[32]](#footnote-32).

و في قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات﴾:

يرى صدر المتألهين أنها هي من الآيات التي اختص بمعرفتها أهل القرآن خاصة ، (فالاستواء ): أصله طلب السواء ، و إطلاقه على الاعتدال و الاستقامة ، و قيل استوى بمعنى استولى و ملك ، (فسواهن (: عدّلهن و خلقهن مصونة من العوج و الفطور، إلا عند قيام الساعة ( إذا السماء انفطرت)، و (ثم ): كما تفيد التراخي ، فهي هنا تفيد للتفاوت في الشرف و الفضيلة في خلق السماوات على خلق الأرض[[33]](#footnote-33).

**د ـ الطباطبائي(ت: 1402هـ):**

حفل (الميزان) بأبحاث فلسفية عديد في مواضع مختلفة ، و يرجع ذلك إلى قدرة المفسر العلمية ، و عمق نظرته الفلسفية ، و فلسفة الطباطبائي في (الميزان ) تبدو ممزوجة بآيات القرآن الكريم ، و لكن لم تستهو الفلسفة الطباطبائي كمنهج للتفسير ، و لم تسيطر النظريات الفلسفية على تفسيره ، كما هو نفسه عاب على المسلك الفلسفي في التفسير ، إذ قال : « و أما الفلاسفة ، فقد عرض لهم ما عرض للمتكلمين من المفسرين من الوقوع في ورطة التطبيق و تأويل الآيات المخالفة بظاهرها للمسلمات في فنون الفلسفة بالمعنى الأعم ، و خاصة المشائين ، و قد تأولوا الآيات الواردة في حقائق ما وراء الطبيعة ، و آيات الخلقة ، و حدوث السماوات و الأرض ، و آيات البرزخ و آيات المعاد ، حتى ارتكبوا التأويل في الآيات التي لا تلائم الفرضيات و الأصول الموضوعة التي نجدها في العلم الطبيعي».

كما أن الأبحاث الفلسفية التي عقدها الطباطبائي في الميزان تعبر عن تأييدها للمعاني التي أستفادها من الآيات ، و في أحيانٍ أخرى عبرت هذه الأبحاث عن رفضها لمقالات فلسفية تعارض ظواهر القرآن و السنة.[[34]](#footnote-34)

**مثلًا في تفسيره لمعنى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ الفاتحة:2:** يعقبه ببحث فلسفي فيرى أن البراهين العقلية ناهضة على أن استقلال المعلول و كل شأن من شؤونه إنما هو بالعلة ، و أن كل ماله من كمال فهو فيض من فيوض وجود علته ، فلو كان للحسن و الجمال حقيقة في الوجود فكماله و استقلاله للواجب تعالى لأنه العلة التي تنتهي إليه جميع العلل ، و الثناء و الحمد هو إظهار موجود ما بوجود كمال موجود آخر و هو لا محالة علته[[35]](#footnote-35)2.

**و في تفسيره لقوله تعالى ﴿ يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾الزلزلة:4** : نجده أنه يقول

«حقق في مباحث الفلسفة وهو حضور شيء لشيء يساوي الوجود المجرد لكون ما له من فعلية الكمال حاضرًا عنده تعالى من غير مقابلة للفعل ، فكل وجود مجرد يمكنه أن يوجد حاضرًا و ما أمكن لمجرد بالإمكان العام فهو له بالضرورة ، فالعلم يساوي الوجود و الوجودات المادية لا يتعلق بها علم و ليس لها علم بشيء ، لكن لها ـ على الرغم كونها مادية متغيرة متحركة لا تستقر على حال ـ ثبوتًا من غير تغير و لا تحول لا ينقلب عما وقع عليه ، فلها من جهة التجرد تشابه محض مع الموجودات المحضة العقلية المثالية في سريان العلم»[[36]](#footnote-36).

بينما رفض الطباطبائي في بعض أبحاثه الفلسفية بعض النظريات التي تخالف بمؤداها القرآن الكريم ، كما في معنى ( الكلام ) ، حينما ذهب الفلاسفة بأن المعلول يحكي عن علته فهو كلام لها ، و لما كان العالم الممكن معلولًا لله تعالى فهو كلامه الذي يظهر المكنون من كمال أسمائه و صفاته أي أن الله تعالى متكلم بالعالم.

لكن الطباطبائ استبعد هذا المعنى ، باعتبار أن ما ورد في القرآن الكريم لا يدل على ذلك ، و لا يمكن حمله إلا على أنه كلام حقيقي لله غير متمثل بالعالم و لا الوجودات الخارجية[[37]](#footnote-37).

**النتيجة** :

تعتبر الفلسفة الإسلامية مصدر من أهم مصادر التفسير ، لأنها غنية بالنظريات العقلية و القطعية ، ويستفيد منها المفسر في تفسيره للقرآن الكريم ، و خاصة في المسائل التي تتعلق بمعرفة الذات الإلهية ، و صفاته سبحانه ، و عند تفسير بعض الآيات المتشابهة .

و على المفسر الذي يعتمد على التفسير الفلسفي كمصدر أن يراعي الضوابط التالية :

أولًا: أن لا يتنافى التفسير الفلسفي مع الآيات القرآنية ، وحكم العقل.

ثانيًا: الابتعاد عن الفرضيات \_ أي النظريات غير القطعية ـ لأنها معرضة للتغير و الإشكالات.

ثالثًا: الابتعاد عن تحميل النظريات الفلسفية على القرآن الكريم1.[[38]](#footnote-38)

**المصادر:**

1ـ القرآن الكريم.

2ـ ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله الكبير ، دار المعارف ، القاهرة .

3ـ ابن سينا ، الحسين بن عبد الله ، مجموع رسائل الشيخ الرئيس ، جمعية دائرة المعارف العثمانية ، تصالطبعة الأولى ، 1354هـ ش.

4ـ أبو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر الإسلامي ، نشر دار المعرفة الجامعية ، 1980م.

5ـ الألوسي ، علي ، الطباطبائي و منهجه في تفسيره الميزان، معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، طهران ، الطبعة الأولى ، 1405هـ.

6ـ الجابري ، محمد عابد ، تكوين العقل العربي ، موقع معرفة.

7ـ الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات ، مطبعة دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت.

8ـ الذهبي ، محمد حسين ، التفسير و المفسرون ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة.

9ـ الشيرازي (صدر المتألهين) ، محمد بن إبراهيم ، تفسير القرآن الكريم ، تصحيح ، محمد خواجوي ، نشر بيدار، قم المقدسة، طبعة 1364هـ ش.

10 ـ الشيرازي ( صدر المتألهين ) محمد بن إبراهيم ، الحكمة المتعالية، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.

11ـ الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، تصحيح الشيخ حسين الأعلمي ، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيوت ، الطبعة الأولى ، 1417هـ .

12ـ العك ، خالد عبد الرحمن ، أصول التفسير و قواعده ، دار النفائس، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1406هـ.

13ـ الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين ، تحقيق: مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة ، الطبعة الثانية ، 1410هـ .

14ـ الفيروز آبادي ، القاموس.

15ـ المظفر ، محمد رضا ، الفلسفة الإسلامية ، اعداد السيد محمد تقي الطباطبائي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت.

16ـ خلف ، فتح الله ، المدخل إلى الفلسفة ، نشر دار الجامعات المصرية ، 1982م.

17ـ رضائي ، محمد ، مباني و قواعد تفسير القرآن.

18ـ عطية ، ساجد شريف ، مفسري القرآن و أسلوبهم ، موسوعة اتقان القرآن و علوم الرحمن.

19ـ صالح ، زمن حسين ، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم ( صدر الدين الشيرازي أنموذجًا) ، رسالة ماجستير ، جامعة كربلاء ، 1438هـ.

20ـ مدكور ، إبراهيم ، في الفلسفة الإسلامية ( منهج و تطبيقه) ، نشر دار المعارف ، مصر.

21ـ موقع هد القرآن ، أصول و شواهد النظر العقلي في القرآن و الفكر الإسلامي.

1. (1 ) موقع هدى القرآن، أصول و شواهد النظر العقلي في القرآن الكريم و الفكر الإسلامي.

   ( 2) الجابري ، محمد عابد ، تكوين العقل العربي ، موقع معرفة. [↑](#footnote-ref-1)
2. الفيروز آبادي ، القاموس ، ج3: 155 . [↑](#footnote-ref-2)
3. الشيرازي ، محمد بن إبراهيم ، الحكمة المتعالية ، ج1: 47ـ خلف ، فتح الله ، المدخل إلى الفلسفة: 7. [↑](#footnote-ref-3)
4. [↑](#footnote-ref-4)
5. المظفر، محمد رضا ، الفلسفة الإسلامية: 75. [↑](#footnote-ref-5)
6. المظفر ، محمد رضا ، الفلسفة الإسلامية: 76. [↑](#footnote-ref-6)
7. المظفر ، محمد رضا ، الفلسفة الإسلامية: 76. [↑](#footnote-ref-7)
8. أبو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر الإسلامي:16. [↑](#footnote-ref-8)
9. مدكور، إبراهيم ، الفلسفة الإسلامية(منهج و تطبيقه) :7. [↑](#footnote-ref-9)
10. انظر: مدكور، إبراهيم ، في الفلسفة الإسلامية ( منهج و تطبيقه)ج2: 7 ،77. [↑](#footnote-ref-10)
11. ا نظر: مدكور ، إبراهيم ، في الفلسفة الإسلامية( منهج و تطبيقه) ، ج1: 23. [↑](#footnote-ref-11)
12. انظر : أبو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر الإسلامي: 47، 48. [↑](#footnote-ref-12)
13. الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين ، ج8: 236ـ و انظر : ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب:25 ، مادة أثر.  [↑](#footnote-ref-13)
14. انظر :الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات :9. [↑](#footnote-ref-14)
15. انظر : صالح ، زمن حسين ، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم ( صدر الدين الشيرازي أنموذجًا): 21. [↑](#footnote-ref-15)
16. الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين ،ج7: 247 ، مادة فسر.

    [↑](#footnote-ref-16)
17. ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب: 3412 ، مادة فسر. [↑](#footnote-ref-17)
18. انظر : رضائي ، محمد ، مباني و قواعد تفسير القرآن. [↑](#footnote-ref-18)
19. انظر : صالح ، زمن ، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم: 45. [↑](#footnote-ref-19)
20. عطية ، ساجد شريف ، مفسري القرآن و أسلوبهم ، ج2 ، موسوعة اتقان القرآن و علوم الرحمن . [↑](#footnote-ref-20)
21. انظر : أبو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر الإسلامي:223 ، 224 ـ وانظر: الذهبي ، محمد حسين ، التفسير و المفسرون ، ج2 : 309.

    [↑](#footnote-ref-21)
22. انظر : أبو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر الإسلامي: 50. [↑](#footnote-ref-22)
23. انظر : العك ، خالد ، أصول التفسير و قواعده :245. [↑](#footnote-ref-23)
24. العك ، خالد ، أصول التفسير و قواعده :245. [↑](#footnote-ref-24)
25. انظر، صالح ، زمن ، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم: 42.

    [↑](#footnote-ref-25)
26. انظر : الذهبي ، محمد حسين ،التفسير و المفسرون ، ج2: 310. [↑](#footnote-ref-26)
27. انظر : الذهبي ،محمد حسين ، التفسير و المفسرون ، ج2: 310. [↑](#footnote-ref-27)
28. انظر: الذهبي ، محمد حسين ، التفسير و المفسرون ، ج2: 314. [↑](#footnote-ref-28)
29. الذهبي ، التفسير و المفسرون ، ج2: 315. [↑](#footnote-ref-29)
30. انظر: صالح ، زمن ، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم( صدر الدين الشيرازي أنوذجًا). [↑](#footnote-ref-30)
31. انظر: الشيرازي(صدر المتألهين ) ، محمد بن إبراهيم ، تفسير القرآن الكريم ، ج2: 4، 5. [↑](#footnote-ref-31)
32. الشيرازي ، محمد إبراهيم ، تفسير القرآن الكريم ، ج2: 274. [↑](#footnote-ref-32)
33. انظر : الشيرازي ، محمد إبراهيم ، تفسير القرآن الكريم ، ج2: 278. [↑](#footnote-ref-33)
34. انظر :الألوسي ، علي ، الطباطبائ ومنهجه في تفسيره الميزان :183 ، 184. [↑](#footnote-ref-34)
35. انظر : الطباطبائ ، محمد حسين ، الميزان ، ج1: 22. [↑](#footnote-ref-35)
36. الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان ، ج17 : 381 ، 382. [↑](#footnote-ref-36)
37. انظر: الألوسي ، علي ، الطباطبائي و منهجه في تفسيره الميزان: 185 ، 186. [↑](#footnote-ref-37)
38. انظر : رضائي ، محمد ، مباني و قواعد تفسير القرآن ( الضوابط العامة في مناهج التفسير). [↑](#footnote-ref-38)